باب الإدغام

وهو يعني: الإتيان بحرفين ساكن ومتحرك من مخرج واحد، فترفع اللسان بالحرفين دفعة واحدة وتضعه بهما وضعًا واحدًا.

والإدغام لا يكون إلا في المتماثلين أو في المتقاربين، وفي كلمة أو في كلمتين أيضًا[1].

وللإدغام حالات وجوب وجواز وإتباع، ولكل منها شروط ذكرت عند النحاة[2]. ومتى حصل الإدغام في المتماثلين -وفق شرطه- فاللغة العالية حينئذ تحريك الآخر نحو قوله تعالى: ﴿ومن يرتد منكم..﴾ «ولا يرد بأسه...». أما إذا أسكن الحرف المدغم فيه لاتصاله بضمير رفع وجب فك الإدغام على الفصيح من العرب «وَشَدَدْنَا مُلْكَه».

ثم إذا اتصل آخر الفعل المدغم والمجزوم وشبهه بهاء الغائبة وجب فتحه، أو هاء الغائب وجب ضمه، فإن اتصل بآخر الفعل المجزوم ساكن فالأكثر على كسره.

وبالتأمل فيما نقله النحاة من كلام العرب في هذا الشأن نرى أن لهجات القبائل العربية قد اختلفت في بعض صور الإدغام:

أ- اختلاف لهجات القبائل العربية حول فك وإدغام آخر الفعل المضعف المجزوم:

١- أهل الحجاز يضاعفون آخر الفعل إذا أسكن في الأمر أو الجزم أو اتصل به ضمير رفع متحرك أو جاء على صيغة أفعل مرادًا به التعجب فيقال: اردد، اجترر، إن تضارر، أضارر ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ**﴾ [النساء: ١١٥]. واشدد ببياض وجوه المتقين.

٢- بنو تميم وكثير من العرب يدغمون المضاعف إذا أسكن آخره في معظم ما ذكر سابقًا[3]، ومن كلامهم قول جرير:

---

(١) المقتضب ١: ٣٣٣، الهمع ٢: ٢٢٥.

(٢) شرح التصريح ٢: ٣٩٨ وما بعدها.

(٣) التسهيل ٢٦٠، شرح التصريح ٢: ٤٠٢.

فَـغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُـمَـيْـرٍ فَـلاَ كَـعْـبًـا بَلَغْتَ وَلاَ كِـلاَبَا(*)

وقوله:

ذُمَّ المنـازل بَعْـدَ مَنْـزِلَةِ الِّـلوَى والعَـيْشَ بَعْـدَ أُولئكَ الأَيَّامِ(**)

ونقول على لغتهم: رد -ردًا- وإن ترد أرد- وردن- وشد الحبل- وخص أباك- ولم يحـل- وقـرأ أبـي: ﴿**وَإِن تَصْبِـرُوا وَتَتَّقُـوا لا يَضُـرُّكُـمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**﴾ [آل عمران: ١٢٠] على «لا يضركم» بفك الإدغـام، وهي لغة أهل الحجاز ولغة سائر العرب الإدغام في هذا كله، وبها قرأ القراء سوى نافع وابن كثير وأبي عمرو فقد قرأوا: يضركم «بكسر الضاد»(١).

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وغيرهم: لاَ تُضَارَّ.

وروي عن ابن عـباس: «لا تضارر» بفـك الإدغام وكسـر الراء الأولى وسكون الثانية، وعزا أبو حيان الفك للحجاز، والإدغام لتميم(٢).

وقرأ الجمـهور: ﴿**فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ**﴾ [غافـر: ٤] بالفك على لغة الحجاز.

وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير «فـلا يغرك» بالإدغام مفتوح الراء، وهي لغة تميم.

(*) البيت من قـصيدة طويلة لجـرير بن عطية الخطفي. وهي بمجـموعهـا في هجاء الراعي النميـري لما فضل الفرزدق على جرير، وهذا البيـت هو الذي ظل بنو نمير يتنابزون به حتى انتسبوا إلى غـير أبيهم حتى لا يعـابوا بذلك. وغض: أي أغمـضه وطأطئـه ونكسـه إلى الأرض. والطرف: البصـر، ونمير وكـلاب: قبيلتان. والمقصود ذمه ونهيه عن مجاراة الكرام فيما يفعلون.

والشاهد في غض: حيث يروى بفتح الضاد على التخفيف وبالضم إتباعًا له لضمة الغين قبلها، وكسرها للتخلص من التقاء الساكنين.

(**) البيت قد نسب لجرير أيضًا. والمنازل: جمع منزل أو منزلة وهو مكان النزول، واللوى: اسم مكان بعينه وأصله منقطع الرملة وهو واد من أودية بني سليم..

والشاهد في ذم: حيث فيه الأوجه الثلاثة على ما ذكرنا في البيت السابق له.

(١) حجة القراءات ١٧١، البحر ٣: ١٤٣.

(٢) حجة القراءات ١٣٦، البحر ٢: ٢١٤.

وقرأ زيد بن علي ﴿لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ [يوسف: ٥] لا تقص مدغمًا، وهي لغة تميم، وقرأ الجمهور بالفك على لغة الحجاز[١].

وقرأ نافع وابن عامر: ﴿ومن يرتد منكم﴾ من يرتدد، وهي لغة الحجاز، والباقون بواحدة مشددة، وهي لغة تميم.

٣- بعض بكر بن وائل من دون سائر قبائل العرب يدغمون آخر الفعل المضعف إذا سكن الحرف المدغم فيه لاتصاله بضمير الرفع فيقولون: رَدَّتُ، وردَّت، وردَّن، ومرَّن، ويردَّن، وردَّن[٢].

٤- وهناك قبائل شاركت بكرا هذه الصيغة، ولكنها زادت عليها بأن أتت بها على نمط آخر، فبدل أن تقول: رَدَّت تصوغها تلك القبائل على هذا الشكل أيضًا لكن بزيادة ألف بعد المدغم قبل الضمير فيقولون ردات، وردان، ومران... وهذه لهجة قد أشار إليها الرضي في شرح الشافية إذ قال: وبعضهم يزيد ألفًا بعد الإدغام نحو: ردات، وردان[٣].. ولم تنسب إلى قبيلة أو قبائل بعينها، لكن بعض الباحثين المحدثين ينصون على أنها لهجة قيس بن عيلان[٤].

ب- اختلاف القبائل العربية حول الزيادة والحذف في الفعل المضعف المجزوم:

نسب النحاة منهم الكسائي إلى بني عبد القيس استعمالاً خاصًا للمضاعف حالة سكون آخره للأمر فيتخذون له طريقًا مغايرًا للحجازيين والتميميين فهي تدغم لكنها تزيد همزة وصل في أول فعل الأمر فهم يقولون: أرد، أغض... وهو استعمال اختص بهم إذ ليس في كلام العرب ألف وصل دخلت على متحرك إلا في ثلاثة مواضع، منها قولهم:

اسل زيدًا، وهي لغة عبد القيس حكاها عنهم أبو زيد والفراء[٥].

---

(١) الشواذ ١٤، حجة القراءات ٢٣٠، البحر ٥: ٢٨٠، ٣: ٥١١.
(٢) شرح التصريح ٢: ٤٠٢، التسهيل ٢٦٠.
(٣) شرح الشافية ٣: ٣٤٥.
(٤) في اللهجات العربية -أنيس- ١٣٩.
(٥) ليس في كلام العرب ٨٩، شرح التصريح ٢: ٤٠١.

ويبدو أن قلة ذلك في لسان العرب لأن همزة الوصل لا تدخل إلا على ساكن توصلاً للنطق به، ولذا قال ابن هشام: ولم يخلق الله همزة وصل في أول المضارع[1]. ولاشك أن أوله متحرك.

جـ- اختلاف لهجات القبائل العربية حول حركة آخر الفعل المضعف في الأمر ومضارعه المجزوم الآخر إذا لم يتصل بهما شيء:

١- بنو أسد وناس غيرهم من تميم يفتحون الآخر فيهما مطلقًا فيقولون: مد، وعض، وفر[2].

٢- كعب وغني ونمير كسروا الآخر منهما مطلقًا فقالوا: مد، وعض، وفر[3].

٣- بنو تميم ومن تابعهم كانوا يجنحون إلى إتباع الآخر لحركة الفاء في الفعل المضاعف من الأمر والمضارع المجزوم فيقولون: مد، عض، فر، ورد، وشد، وردنا، ولا يشلكم الله[4].. وقد قرأ علقمة بن قيس[5]: ﴿**هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا**﴾ [يوسف: ٦٥].

٤- اختلاف لهجات القبائل العربية في حركة آخر الفعل المضعف إذا اتصل به ضمير غيبة:

١- بعض العرب إذا اتصل بالفعل المضعف الآخر ضمير غائب ضموه في المضموم الفاء، وربما كسر، وقد يفتح، وإذا اتصل به ضمير غائبة فتحوه فيقال: ردَّها، وغلَّها، وأمدَّها، فإذا كانت الهاء مضمومة قالوا: مدُّه، وعضُّه[6]. وقد أورد سيبويه هذه اللهجة دون عزو.

ولكن يرجح من سياق كلامه أنه يقصد بهم بني تميم وبني أسد بدليل أنه نسب إليهم تحريك آخر الفعل المضعف بحركة ما قبله فتحًا أو ضمًا أو كسرًا، ثم قال: فإن جاءت الهاء أو الألف فتحوا أبدًا فإذا كانت الهاء مضمومة ضموا[7] -يعنى هؤلاء المتبعين- وهم كما يذهب الباحثون المحققون إلى أنهم بنو أسد وبنو تميم.

---

(١) أوضح المسالك ٧٢١.
(٢) الكتاب ٢: ١٦٠.
(٣) نفسه والجزء والصفحة.
(٤) الكتاب ٢: ١٥٩.
(٥) الشواذ ٦٤.
(٦) الكتاب ٢: ١٥٩، التسهيل ٢٦٠.
(٧) الكتاب ٢: ١٥٩.

وحكى الكوفيون: رُدُّها وردِّها وردِّه وذلك في مضموم الفاء[١].

٢- نقل بعض أئمة النحو أن ناسًا من بني عقيل يقولون مدِّه وعضِّه بالكسر، وهذا استعمال خاص بهم، وكأنهم لما التقى ساكنان حركوا بالكسر تخلصًا منهما ولم يعتدوا بالهاء إذ هي حرف خفي.

وذكر ثعلب الأوجه الثلاثة الفتح والكسر والضم في مثل هذا، وقد غلطوه في تجويز الفتح[٢].

٣- نقل النحاة أن الكسر قبل الساكن نحو ردِّ المتاع، هو الوجه وعليه أكثر العرب لأنها حركة التقاء الساكنين في الأصل، وقد ورد عن بعض العرب أنهم يفتحون في مثل ذلك فيقولون ردَّ المتاع، وخصَّ القوم.. قال جرير:

فغضَّ الطرف إنك من نمير

وعزا بعض النحاة هذا الاستعمال إلى بني أسد[٣].

ويمكن أن يضاف إليهم بنو تميم، فجرير بن عطية الخطفي هو من كليب من بني يربوع ابن حنظلة من تميم[٤].

وقد يلجأ بعض العرب إلى الإدغام رغبة فى أن يخفف المتماثلان على النطق وذلك حينما يتحد أو يتقارب مخرجا الحرفين أو يكون أحدهما أبعد في المخرج من الآخر فيقرب منه عن طريق الإبدال ثم الإدغام.

ومن ثم فقد راعى الإدغام في المتماثلين لاتحاد المخرج من «قرأ»: ﴿**فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المجادلة: ٩] وهي قراءة ابن محيصن[٥] وقراءة الجمهور: فلا تتناجوا.... بتائين[٦].

وقد عزيت قراءة الإدغام إلى أهل مكة، قال سيبويه وزعموا أن أهل مكة لا يثبتون التائين.

---

(١) التسهيل ٢٦٠.
(٢) شرح التصريح ٢: ٤٠٢.
(٣) نفسه والجزء والصفحة، الكتاب ٢: ١٦٠، التسهيل ٢٦٠.
(٤) سبائك الذهب ٣٠.
(٥) الشواذ ١٥٣.
(٦) الكتاب ٢: ٤٠٨.

كما راعى الاتحاد في المخرج والإبدال من أقرب الحروف إلى الضم من قال: محُّم في معْهم، ومحَّاولاء، في معْ هؤلاء.

وقد حكى النحويون مثل هذا العمل عن بني تميم[1]، وهي كثيرة في كلامهم وبها قرأ يحيى بن وثاب قوله تعالى: ﴿ألم أحد إليكم﴾[2] في ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم﴾.

والحقيقة أن مثل هذا الصنيع من بني تميم بحروف الحلق إنما يرجع إلى الجد في الهرب من استثقال الأصوات المتماثلة المخرج أو تنافر الحروف وابتعاد أصواتها، فالعين الساكنة من «معهم» رخوية مجهورة ومنفتحة وهي تخرج من أقصى الحلق.

أما الهاء: فهي صوت رخوي مهموس منفتح من حروف الحلق وهي هاوية إلى أقصى الحلق، ولهذا فقد تلمسوا صوتًا يجمع بين الخاصتين ويكون وسطًا بين الجهر والهمس فاختاروا حرف الحاء، فهو من ناحية الهمس مهموس، وهذا ما يقربه من صوت الهاء، ثم هو بعد ذلك يشترك من العين في جميع الخصائص، ومن ثم يقال: واجبه عتبة واجبحُّبة واقطحلالاً في اقطع هلالاً، واذبحاذه في اذبح هذه، بقلب العين حاء وإدغامها في الحاء الأخرى[3].

وروي الثقات عن أبي عمرو بن العلاء ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] بإدغام الحاء في العين، وشبيه بهذا العمل ما عمد إليه -في رأي بعض الباحثين- أهل اليمن وأزد وهذيل والمدينة وسعد بن بكر وقيس من إبدال صوت العين نونًا في الفعل أعطى، وهو المعروف بالاستنطاء، وذلك لما في العين من عنصر أنفي في نطقها فقرب إلى صوت النون اللثوي الأنفي إذ هو أقرب مخرجًا من الفم وأسهل نطقًا[4].

---

(١) نفسه ٢: ٤١٣.

(٢) الشواذ ١٢٥.

(٣) شرح المفصل ١٠: ١٣٦، الموجز في فقه اللغة: ١٩٧.

(٤) من مقال للدكتور صلاح الدين حسنين عن الأصوات العربية -نشر في العدد ٤، السنة ٦، لمجلة الدارة العام ١٤٠١هـ.

٢- ومن الإدغام خشية الاستثقال أو الالتباس بغيره ما حكي عن بعضهم أنه يقول في وتد يتد: ودَّا، وفي عتود: عدِّانا، قال الأخطل:

وَأَذْكُرُ غُدَانَةَ عِدِّانَا مُزَنِمَةً من الحبلق تُبْنى حَوْلَها الصِّيَرُ(*)

وأصل وَدٌّ: وَتِد خفف بحذف كسرة التاء نحو كبد، وعضد وفخذ وعلم قصدًا إلى خلطه بالثاني وجذبه إلى مضامته ومماسة لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزة بينه وبينه[١] فقالوا -بعد الإسكان- ود ولم يجز أن يقولوا: وتْد بسكون التاء مظهرة لما فيه من الثقل إذا التاء صوت أسناني لثوي شديد مهموس منفتح وهو النظير المهموس للدال المجهورة كما أن الدال أقرب مخرجًا إلى الفم من التاء ولكل ذلك قلبت التاء دالاً وأدغمت في أختها، وقد نسب هذا العمل إلى تميم وأهل نجد عامة[٢].

ومن العرب من يلتزم: تدة وطدة في مصدر وتد ووطد خوفًا من الاستثقال لو قيل: وتدا، ووطدا غير مدغمتين، ومن الالتباس لو قيل: ودا[٣]. أما اللغة الحجازية: فقد التزم فيها: وتِد بكسر التاء تخفيفًا لما اجتمع صوتان ساكنان متقاربان في المخرج وهي الصيغة الفصحى والحجازية الجيدة[٤].

ومن صور الإدغام إدغام لام هل وبل في أقرب الحروف مخرجًا إلى اللام، واللام من حيث الإدغام نوعان:

لام معرفة: كالتي في القمر والشمس.

ولام عادية: كالتي في هل وبل.

---

(١) الشواذ ١٢٥. البحر ٧: ٢٤٣. (٢) الخصائص ١: ٣٢.

(٣) الوجيز في فقه اللغة ١٨٥.

(٤) المصباح المنير ٢: ١٠٠١.

(*) البيت قد نسب إلى الأخطل التغلبي، ورأيته في ديوانه ١٧٨.

وغدان: من بني يربوع. العدان: جماعة من المعزى. مزنمة: التي تدلى من حلقها. والحبلق: أولاد المعزى الصغار. والصير: الحظائر يمثل بني غدانة بجماعة من المعزى الصغيرة التي تزرب في الزرائب.

والشاهد: في عدانا: حيث قد جاء فيها الإدغام على ما أوضحنا في النص قصدًا إلى التخفيف وخشية الالتباس بغيره.

والأصل في هذه اللام الترقيق ولا تغلظ بأن تسبق بأحد أصوات الاستعلاء السبعة وهي الصاد والضاد والطاء. . . ساكنًا أو مفتوحًا، أو أن تكون اللام نفسها مفتوحة.

على أن جمهور القراء قد أجمعوا على تغليظ اللام في اسم الجلالة بعد الفتح والضم، وعلى ترقيقها بعد الكسر.

ومن استقراء كلام العرب وجد أن إدغام لام المعرفة في مثلها وفي الطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والصاد والسين والزاى والشين والضاد والنون والراء إدغام واجب لاجتماع ثلاثة أسباب تدعو إليه: منها المقاربة في المخرج وكثرة لام المعرفة في الكلام إضافة إلى أنها تتصل بالاسم اتصال بعض حروفه[١].

أما إن كانت اللام عادية فإدغامها في هذه الأصوات المذكورة جائزة وفي بعضها حسن.

ولعل لكثرة دوران اللام الساكنة في العربية وشيوعها في أكثر أصواتها عظيم الأثر في فنائها وذوبانها فيما رأينا من تلك الحروف[٢].

ولا شك أن الحرف إذا كثر دورانه على الألسنة اعتدي عليه بالحذف أو الزيادة وربما التغيير أيضًا.

ولم يجروا إدغام هذه اللام في الحروف التي أوضحناها سابقًا على مقياس ثابت، بل أدغمت في بعضها أحيانًا ولم تدغم أحيانًا أخرى.

وبعضها أقوى من الإدغام والحروف التي يكون فيها الإدغام أقوى هي الأقرب إلى اللام وأقواها الراء[٣].

والنحاة العرب قد تحدثوا عن بعض مظاهر هذا الإدغام وأسبابه إلا أن ما وصل إلينا منها يمكن تصنيفه في أمور:

---

(١) شرح المفصل ١٠: ١٤١.

(٢) نفسه والجزء والصفحة.

(٣) شرح المفصل ١٠: ١٤١.

١- إدغام اللام في مثلها:

إذا كان من كلمتين منفصلتين كقولك: جعل لك، وفعل لبيد، وذلك خشية أن يجتمع أكثر من أربعة متحركات ليس بينها ساكن فأدغموا رغبة في التخفيف وبعدا عن الثقل، والإظهار جائز، وهو لغة أهل الحجاز[١].

٢- إدغام لام «هل وبل» في الراء: فقد نقلوا أن العرب قد اختلفوا في هذه الصيغة على مجموعتين:

أ- المجموعة الأولى: قد أدغمت هذه اللام في الراء فقالت: هرَّأيت، وذلك من قبل أن الراء أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها فضارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد إذ كانت اللام ليست حرف أشبه بها منها ولا أقرب، وهما يخرجان من طرف اللسان لا عمل الثنايا فيها، وقد قرئ قوله تعالى: ﴿**بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم**﴾ [المطففين: ١٤] وقوله تعالى: ﴿**بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ [النساء: ١٥٨] بالإدغام أيضًا، قال أبو جعفر بن الباذش: وأجمعوا -يعني القراء- على إدغام اللام في الراء إلا ما كان من سكت حفص على بل ثم يقول ران. . . .

وقرأ نافع أيضًا بالإدغام والإمالة.

وقال الزمخشري: وقرئ بإدغام اللام في الراء. . .

والإدغام أجود[٢].

ب- أما المجموعة الثانية: فيمثلها أهل الحجاز، فقد أورد سيبويه أن نحو: هلَّ رأيت لغة لأهل الحجاز وهي عربية جائزة[٣]، ولكن الإدغام أحسن من الإظهار - لما سبق بيانه- فهما صوتان لثويان مجهوران منفتحان، ولهذا فالراء قريبة الشبه في المخرج والصفات من اللام، وبالإظهار قرأ بعضهم ﴿**بَلْ رَانَ**﴾ و﴿**بَل رَّفَعَهُ**﴾ و﴿**بَل رَّبُّكُمْ**﴾ [الأنبياء: ٥].

ووقف حمزة على «بل» وقفًا خفيفًا يسيرًا ليتبين الإظهار وسكت حفص على «بل» ثم «ران» وكأن قراءة حفص جاءت على لغة أهل الحجاز في الإظهار.

---

(١) الكتاب ٢: ٢٠٧.

(٢) البحر ٨: ٤٤١.

(٣) الكتاب ٢: ٤١٦.

وفي كتاب اللوامح عن قالون من جميع طرقه إظهار اللام عند الراء نحو قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ﴿بَل رَّبُّكُمْ﴾ وفي كتاب ابن عطية: وقرأ نافع ﴿بَلْ رَانَ﴾ غير مدغم، وهي قراءة حفص أيضًا.

قال الزمخشري: وقرئ بل ران بالإظهار[1].

٣- إدغام لام «هل وبل» بالتاء: والنحاة على أن إدغامها في الراء جائز كالتاء لاسيما وأنهما متقاربا في المخرج إذ هما من طرف اللسان فالتاء صوت أسناني لثوى شديد مهموس منفتح وتشاركها اللام في هذه الخصائص ما عدا الجهر.

وعلى كل حال فإن إدغام اللام مع التاء وأخواتها «الطاء»- الدال- الصاد- الزاي- السين» جائز لأنهن من الثنايا والإدغام فيهن أقوى من سواها خلا الراء لأن اللام لم تسفل إلى أطراف اللسان وكذا التاء وباقي أخواتها الخمسة.

وقد اتفق حمزة والكسائي علي إدغام لام هل وبل في التاء... فقرأ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦] في ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾[2].

وقرأ الجمهور: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] بإظهار اللام عند التاء.

وقرأ الأخوان وهشام وعلي بن نصر وهارون كلاهما عن أبي عمرو والحسن والأعمش وعيسى وابن محيض بالإدغام فيهما.

قال أبو عبيدة: وهما لغتان[3].

وأنشدوا قول مزاحم العقيلي:

فَدَعْ ذَا ولكِنْ هَتِّعِيْنُ مُتَيَّمًا عَلَى ضَوْءِ بَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ نَاصِبِ(*)

---

(١) البحر ٨: ٤٤١، المهذب في القراءات العشر ٢: ٤٥٠. حجة القراءات: ٧٥٤.

(٢) شرح المفصل ١٠: ١٤٠.

(٣) البحر ٦: ٢٠٤.

(*) البيت لمزاحم العقيلي، وهو من شواهد سيبويه ٢: ٤١٧. المفصل وشرحه: ١٠: ١٤١. والمتيم: من تيمه الحب. والناصب: التاعب وقد جعل البرق ناصبًا لأنه يعنيه ويؤلمه بمراعاته والنظر إليه والتعرف لمكان صوب مطره هل هو في جهة من يهواه أو في غيرها ومن أجل هذا سأل المعونة عليه.
والشاهد: هل تعين: حيث أدغم لام هل في التاء، لأنهما متقاربان في المخرج.

يريد: هَلْ تعين، فأدغم اللام في التاء[1].

والظاهر أن الإدغام في مثل ذا كان سمة لهجية لكثير من القبائل العربية يؤكده ميل كثير من أئمة القراءات إليه، ويروي بعض الباحثين المحدثين: أن ذلك كان صفة لهجة بني تميم وأسد ومن وراءهم من قبائل شرقي الجزيرة العربية، بدليل أن الذين ترددت أسماؤهم في هذا الإدغام الكسائي وحمزة والقارئان كوفيان[2]، والكوفة متأثرة بالقبائل التي سكنت تلك المنطقة من الجزيرة ثم إن الكسائي كان من مولى بني أسد وهم ممن آثروا الإدغام، فإذا أضفنا إلى ذلك ما ورد عن مزاحم العقيلي في بيته السابق أمكننا أن نعمم الظاهرة فهو من بني عقيل وهم من القبائل البدوية الضاربة في صحراء نجد والتي كانت على صلة قوية بالقبائل المدغمة كتميم وأسد[3].

إدغام لام «هل وبل» في الشين:

وقد عبر سيبويه عن ذلك بأنه ضعيف لأن مخرج الشين من وسط اللسان إذ هو صوت غاري رخوي مهموس منفتح لكنه يجوز إدغام اللام فيه لاتصال مخرجهما إذ هو طرف اللسان. وأكثر النحاة على أن الشين لا تدغم إلا في مثلها ولكن روي عن أبي عمرو إدغامها في السين من قوله تعالى: ﴿**إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً**﴾[4] في ﴿**إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء: ٤٢].

كما ورد إدغام اللام بها في قول طريف بن تميم العنبري:

تَقُولُ إِذَا اسْتَهْلَكْتُ مَالاً لِلَذَّةٍ ... فُكَيْهَةُ هَشَّيءٌ بِكَفَّيْكَ لاَئِقُ(*)

---

(١) الكتاب ٢: ٤١٧.
(٢) حجة القراءات ٥٩: ٦١.
(٣) اللهجات العربية في التراث ٢٢٩ وما بعدها.
(٤) النشر ١: ٢٩٢.
(*) البيت من شواهد سيبويه ٢: ٤١٧، والمفصل وشرحه ١٠: ١٤١.
واستهلكت: اتلفت وأهلكت. واللائق: المستقر المحتبس.
والشاهد في هشيء، ووجه الاستشهاد: إدغام لام هل في الشيء لاتساع مخرج الشين وتفشيها وإجرائها وإن كانت من وسط اللسان إلى طرفه واختلالها بطرفه واللام من حروف طرف اللسان فأدغمت فيها لذلك وإظهارها جائز لأنهما من كلمتين مع تباعد المخرج.

يريد: هل شيء فأدغم اللام في الشين[1].

ويمكن أن يكون ما أنشده سيبويه على قلته لهجة خاصة ببني قوم الشاعر من بني العنبر إذ هي وثيقة الصلة ببني عمرو بن تميم نسبًا، والإدغام من خصائص اللهجة التميمية[2].

ومن الإدغام بعد القلب طمعًا في التيسير على النطق ما عمد إليه بعض العرب من قلب تاء الافتعال حرفًا من مثل الفاء وإدغام المبدل في الأصلي تلمسًا لتقريب صوتي الحرفين من بعضهما في صفتي الجهر والهمس أو الشدة والرخاوة؛ مما ينتج عنه تأثر الأصوات المجاورة ببعضها إلى درجة اندماجها في صوت واحد وفناء بعضها استدامة لأخفها على النطق وأوضحها في السمع ولم يشر النحاة إلى معظم أصحاب تلك الصيغ، إلا أن إيرادهم لأكثر من صيغة في هذا الشأن يدلنا على أن درجة هذا التأثير بين الأصوات قد اختلفت باختلاف القبائل العربية، واصطبغت بسمات بيئاتها وعادات أهلها الكلامية.

والمشهور أن تاء الافتعال تقلب إلى غيرها من تسعة أحرف: فتبدل طاء مع حروف الإطباق الأربعة: الصاد والضاد والظاء والطاء، فيقال: اصطبر، واضطرب، اظطلم، واطلع، فيجب الإدغام في الأخيرة «اطلع» لاجتماع المثلين في كلمة وأولهما ساكن. أما اظطلم ففيه ثلاثة أوجه: الإظهار، والإدغام، مع إبدال الثاني من جنس الأول وعكسه، وقد روي بهن قول زهير بن أبي سلمي:

هُوَ الجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا ويَظَّلِمُ أحيانًا فيُظلم(*)[3]

وقد نسب بعض الباحثين إلى عقيل أنها قد أبدلت تاء الافتعال إذا وقعت بعد حرف الصاد من جنس الحرف السابق ثم أدغمت الصاد في أختها، وقد يركن في

---

(١) الكتاب ٢: ٤١٧.
(٢) اللهجات العربية في التراث ٢٢٩.
(٣) معاني القرآن ١: ٢١٦. وانظر المضارعة الصوتية بين أصوات اللغة العربية- بحث للأستاذ الدكتور/ يحيى المباركى، منشور بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- ع٣٦، س٢٩، ص ص- ٣٨٧-٤٧٢.
(*) البيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمي المزني، الديوان ٩١ ومطلعه قوله:
قف بالديار التي لم يعفها القدم
والنائل: العطاء. وعفوًا: سهلاً بلا مطل ولا تعب.
والشاهد في قوله: فيظلم وأصله: يظتلم، وهو يفتعل من الظلم قلبت التاء طاء لمجاورتها الظاء فإذا أدغم فمنهم من يقلب الطاء ظاء ثم يدغم الظاء في الظاء فيصير «فيظلم» ومنهم من يقلب الطاء ظاء فيصير «فيظلم» وهذا هو القياس.

ذلك إلى ما رواه الفراء من أنه سمع بعض بني عقيل يقولون: عليك بأبوال الظباء فاصَّعطْها فإنها شفاء للطحل[1]، فغلب الصاد على أختها، وعلى هذا يقال: اصَّفى في اصطفى، واصَّلى في اصطلى. . وقد قرأ باقي السبعة دون الكوفيين يصَّالحا، وأصله: يَتَصَالحا، وأدغمت التاء في الصاد، وقرأ الأعمش: أن أصالحا، وهي قراءة ابن مسعودجعل ماضيًا.

وأصله يتصالح على وزن «تفاعل» فأدغم التاء في الصاد.

وقال سيبويه: وحدثنا هارون أن بعضهم قرأ ﴿**فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحًا**﴾. وهي قراء الكوفيين كعاصم والكسائي وخلف[2]، وقد قرأها ابن جني على أبي علي عن أبي بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان وهي قراءة الحجدري وأبي عثمان البتي[3].

ويبدو أن من آثر صوت الصاد على الطاء أو التاء فأبدلها منهما وأدغمها في أختها قد جانس بين الأصوات المتجاورة فأبدلوا من أجناسها قصدًا أولاً إلى تيسير عملية النطق على اللسان فلم يريدوا انتقاله من مخرج إلى آخر بل جنحوا إلى إبدالهما من جنس واحد تخفيفًا من الجهد العضلي، وهذه سنة شائعة في لغة جم غفير من قبائل العرب لاسيما القبائل البدوية وعقيل واحدة منها. وثانيًا: إلى وضوح الصوت وبيانه ولا شك أن صوت الصاد أحد الأصوات الصفيرية الثلاثة التي ضاق محبسه فأدى إلى ارتفاع صوت الاحتكاك وصيرورته إلى ما يشبه الصفير[4] وهو مما يناسب ساكن الصحراء حيث السماء المكشوفة والأرض البلقاء مما يدفعه إلى إيضاح الصوت وتمكنه حتى يكون واضحًا ولا يشتبه بسواه فيلتبس على السامع أمره، وهذا ما هدفت إليه القبائل البدوية، وخير من يمثلها عقيل[5]، وقد تقلب دالاً وجوبًا إذا كانت الفاء دالاً أو ذالاً أو زايا نقول في «افتعل» من ادْدَان ثم تدغم لاجتماع المثلين في كلمة أولها ساكن، وفي زجر: ازدجر وقد

(١) الاتحاف ١٩٤، الكشف ١: ٣٩٨، حجة القراءات ٢١٣، النشر: ٢: ٢٥٢، البحر: ٣: ٣٦٣.
(٢) الكتاب ٢: ٤٢١، الإتحاف ١٩٤، الكشف ١: ٣٩٨، النشر ٢: ٢٥٢.
(٣) سر الصناعة ١: ١٩.
(٤) الوجيز في فقه اللغة ١٨٧.
(٥) اللهجات العربية في التراث ٢٣٢.

يقال: ازّجر، وفي ذكر اذدكر ثم تبدل الدال ذالاً وتدغم في المبدلة، ولعل السبب في هذا القلب أن التاء حرف مهموس والدال مع أخواتها حروف مهجورة فأرادوا التقريب بين جرسيهما فأبدلوا من التاء دالاً إذا كانت من مخرج الثاء وتوافق ما قبلها في الجهر وليس فيها إطباق فكانت الدال أشبه بما قبلها فلذلك أبدلوها دالاً ولا شك أن الدال هو النظير المجهور للثاء المهموسة ثم تجاورت الأصوات فتأثرت بعضها ببعض فمالوا إلى تجانس الصوت وتشاكله فقلبوا الحرف الثاني إلى لفظ الأول وأدغموه فيه لأنه أبلغ في الموافقة وأوضح في المشاكلة[1]، وقد قرئ بالأوجه الثلاثة المذكورة آنفًا قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ [القمر: ٢٢] قرأها الجمهور «مُدَّكِر» بإدغام الذال في الدال المبدلة من تاء الافتعال وقرئ على الأصل: مذتكر، وهي قراءة ابن مسعود وعيسى وقتادة وأبي عمرو.

ونقل ابن عطية عن قتادة أنه قرأ فهل من مذكر بالذال أدغمه بعد قلب الثاني إلى الأول.

قال صاحب اللوامح: وهو فاعل من التذكير أي من يذكر نفسه أو غيره[2]، قرأ الجمهور: «وَادَّكَرَ» في قوله تعالى: ﴿**وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ**﴾ [يوسف: ٤٥] وأصله اذتكر أبدلت التاء دالاً وأدغمت الدال فيها فصار ادكر. وقرأ الحسن: واذكر بإبدال التاء ذالاً وإدغام الدال فيها[3].

ونفس الخلاف بين القراء حدث في قوله تعالى: ﴿**أُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾ [آل عمران: ٤٩] فقد قرأ الجمهور: تدخرون بدال مشددة وأصله اذتخر من الذخر أبدلت التاء دالاً فصار اذدخر ثم أدغمت الذال في الدال فقيل: ادخر كما قيل: ادكر، وقرأ مجاهد والزهري وأيوب السختياني وأبو السمال «تذدخرون» بذال ساكنة ودال مفتوحة من غير إدغام[4].

---

(١) شرح المفصل ١٠: ١٤٩. وانظر بحث المضارعة الصوتية بين أصوات اللغة العربية- للأستاذ الدكتور يحيى المباركى، المنشور بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- ع٣٦، سنة ٢٩، ص ص- ٣٨٧-٤٧٢.

(٢) الشواذ ١٤٨، البحر ٨: ١٧٨.

(٣) البحر ٥: ٣١٤.

(٤) معاني القرآن ١: ٢١٥، البحر ٢: ٤٦٨.

ويروي بعض المحققين أن إبدال الدال ذالاً وإدغام الذال في المبدلة في اذتكر وما تصرف منه كانت لهجة أسد، روى ابن منظور عن الفراء قوله: وبعض بني أسد يقول: مذكر[1]، وعبر سيبويه عن سماعه لتلك اللهجة بقوله: وسمعناهم يقولون: مذكر بالذال المعجمة دون نسبة[2].

أما «ادَّكر» في الآية وما تفرع عنها من مشتقات فيحتمل أن تكون لهجة ربيعة بناء على ما عرف عنهم من قلب الذال دالا في «الذكر» والدال ذالا في كلمة «عدوف» عند مضر فهي تنطقها «عذوف»، ذكر أبو حسان عن أبي عمرو الشيباني: ماذقت عدوفا ولا عدوفة. قال: وكنت عند يزيد بن زيد فأنشدته بيت قيس بن زهير:

وَمَحْنِيّات مَايَذُقْنَ عَدُوفَةً يغذفن بالمهراتِ والأَمْهَارِ

بالدال فقال لي يزيد: صحفت يا أبا عمرو إنما هي عذوفة بالذال فقلت له: لم أصحف أنا ولا أنت تقول ربيعة هذا الحرف وسائر العرب بالذال، ويؤيد ذلك ما روى عن بعض الأئمة من اللغويين من أن ربيعة كانت تغلط في الذكر بالذال فتقول: دكر بالدال، جاء عن سيبويه قوله: وأما الدكر فإنهم كانوا يقلبونها في مدكر وشبهه فقلبوها هنا، وقلبها شاذ شبيه بالغلط[3]. وقد قرأ بعض القراء بهذه اللغة فقد روي عن الحسن وابن عباس أنهما قرآ: ﴿**وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ**﴾ [يوسف: ١٨] بالدال[4] مما يدل على أنها لغة شائعة حتى نقلت إلى لسان ابن عباس القرشي.

وبالمقابل نسب بعض الأئمة إلى ربيعة أيضًا قلب الدال ذالاً في كلمة «عدوف» عند مضر.

أما قلبها ثاء: فقد قالوا في مفتعل من ثرد: مثرد فأبدلوا التاء ثاء وأدغموا الأولى في الثانية لأنهما متقاربتان مهموستان، وهو قول ناس كثير، والبيان أحسن.

وبعضهم يقول مثترد، وهي عربية جيدة.

---

(١) اللسان ٥: ٣٧٦.
(٢) الكتاب ٢: ٤٢٢.
(٣) الكتاب ٢: ٤٣٦.
(٤) الشواذ ٦٢.

والقياس: مترد لأن أصل الإدغام أن يدغم الأول في الآخر، وقالوا في افتعل من ثغر: اثغر، ومن ثأر اثار، والأصل: اثتغر واثتأر فقلبت التاء ثاء لتجاور الأصوات قصدًا إلى تجانسها ثم أدغموا الثاء في أختها كما قالوا: اتغر بالتاء، واتأر، وإنما قلبت تاء لأن الثاء أخت التاء في الهمس مع اختلاف بينهما في الرخاوة أو الشدة فلما اتحدا في المخارج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء وأدغموها في التاء بعدها ليكون الصوت نوعًا واحدًا. ولا ريب في أن الثاء هو الشديد المهموس، والنطق بصوتها يقتضي الانفجار إذ ينحبس الهواء بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وهو مخرج التاء، فأصبحت التاء شديدة بعد أن كانت رخوة، وبذلك اتحد مخرجا الصوتين في الشدة والرخاوة وتماثل الصوتان كل المماثلة وتجاورا فتأثر أحدهما بالآخر فتم الإدغام.

قال ابن جني: هذا هو المشهور في الاستعمال[1]. قيل: وهي لهجة أسد أيضًا القوي في القياس، جاء عن الفراء قوله: وسمعت بعض بني أسد يقولون: اتغر وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة، وغيرهم: اثغر بالثاء[2]. ويبدو -أن ميل بني أسد خاصة- كما قال الفراء- إلى هذه الصيغة أن بهم شدة وغلاظة نتيجة تأثرهم ببيئتهم البدوية الصحراوية وهم من القبائل التي سكنت نجدا، فهي بدوية، ولهذا آثرت صوت التاء الشديد، وناسب أن يحرصوا عليه في مقابل اثغر وهي فيما يعتقد أنها كانت لهجة قبيلة حضرية. والقبائل الحضرية عمومًا كانت تؤثر الأصوات الرخوة.

ويمكن أن نوسع من دائرة تلك الصيغة لتشمل لهجات قبائل أخر غير بني أسد، ولعل فيما نقله ابن جني من قول لبيد العامري:

والنِّيْبُ إنْ تَعْرُفْنِي رِمّةً خَلِقَا بَعْدَ المَماتِ فَإنِّي كُنْتُ أَتَّئِرْ(*)

---

(١) سر الصناعة ١: ١٩٠. (٢) معاني القرآن: ١: ٢١٥.

(*) البيت قد نسب إلى لبيد العامري- الديوان ٥٧. والنيب: الناقة المسنة. وعري: تخلص من الشيء أو أعطاه إياه. ورمة: من رمم الشيء إذا بلى ومثله الخلق، والمعنى أنها إن كانت تأكل رمتي بعد مماتي فإني كنت أثأر منها في حياتي بنحرها للضيفان.

والشاهد: قلب الثاء تاء في أَتَّئِر وإدغامها فيها.

وقال:

بَـدَا بأبـي ثُـمَّ اتَّـنى بِـبَـنِي أَبِـي وَثَلَّثَ بِالأَدْنين ثُـقّف المَخَـالِبِ(*)

والأصل: اثَّأر، وإثنى[1]، ولبـيد هذا مـن بني عامـر وهم من بني مـالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[2].

وهو ما يؤكـد أن بني عامر ربما كانوا ممن يؤثرون الأصـوات الشديدة لأنهم ممن كانوا يسكنون البادية فشاركت أسـدًا هذه اللهجة، ولا شك أن قلب الثاء في تلك الصيغ تاء أسهل عليه أن يرتطم بالحنك، والالتقاء به التقاء محكمًا -وهو ما يكون مع التاء- من أن تقف حركتـه عند مسافة قصيرة من الحنك كـما يحدث مع الثاء، والمعروف أن القـبائل العربيـة قد اختلفت في إبدال الثـاء من الفاء والعكس وذلك باختلاف البيئة، فالأثافي والفوم لهجة حجازية.

قال النابغة:

وإن تَأَثَّفَكَ الأَعْداءُ بِالرِّفدِ(**)

وقال أمية بن أبي الصلت:

كَـــانَتْ مَـنَازِلُهُمْ إِذْ ذَاكَ ظَـاهِرَةً فِيْهَا القَـرَادِيْسُ وَالْفُومَانُ وَالْبَصَلُ(***)

---

(١) سر الصناعة ١: ١٩٠. (٢) الخزانة ١: ٣٢٧.

(*) البيت لم يعز إلى قـائل معروف. ثقف المخالب: مسنونهـا أو حادها يريد الموت. والمعنى: أن الموت بدأ بأبي ثم ثني بإخوتي، ثم ثلث بالأقربين حتى أتى على آخرهم فبقيت وحيدًا.

والشاهد: اثنى حيث قلبت التاء في افتعل ثاء وأدغمت في أختها.

(**) عزى هذا البيت للنابغة الذبياني- الديوان ٥٧. والمنشد ههنا عجز بيت صدره: لا تقذفني بركن لا كفاء له. وهو من شـواهد سر الصناعـة ١: ١٩١. والكفاءة: النظيـر والمثل. وتأثفك: أي صاروا حـولك كالأثافي وهي الجمـاعات من الناس، والمعنى: لا ترميني بما لا أطيق ولا يحتمله أحد ولا يـكافئك فيه أعداؤك وإن أحاطوا بك متعاونين.

والشاهد: في قوله تأثفك: إذ من الجائز أن تكون الفاء ههنا هي ثاء أبـدلت فاء كما في يثفوه ومن هنا كانت تأثفك: تأثثك فجائز أن تكون الثـاء بدلاً من الفاء وجائز أن تكون بدلاً من الثاء، وفي أث يئث إذا ثبت واطمأن، قـال ابن جني: والوجه أن تكون الثاء بدلا من الفـاء. أيضًا لأنا لم نسمعـهم قالوا: أثية.

(***) البيت قـد نسب لأمية بن أبي الصلت. والقـراديس: وبروى الفراديس. البصل، والفـومان: الحنطة.

وأنشد مؤرج لحسان:

وَأَنْتُم أُنَاسٌ لئـــام الأُصُـــولِ طَعَـــامُكُم الفَـوْمَلُ وَالحَـــوْقَلُ(*)

والثوم والأثاثي لهجة تميـمية نجدية، وقد قرأ بهـا ابن مسعود -رضي الله عنه- في قوله تعالى: ﴿وفومها وعدسـها وبصلها﴾ على «ثومها... بالثاء»(١). ونسبت إلى تميم أيضًا أنها تقول: تلثمت، ويقول غيرهم: تلفمت(٢).

ويلاحظ أن هناك اضطرابًا في عـزو هذه الظاهرة، فـقـد نسب إلى تميم النطق بالفاء تارة في صوت الثاء والعكس، نقلوا: أن الجدث لغة أهل الحجاز وأهل تهامة وبها ورد القرآن، وأمـا الجدف فلغة بني تميم وأهل نجد وقيس. كـما نقلوا الخلاف بينها وبين سـواها من قبائل العـرب في النطق بالألفاظ التاليـة: الحفالة والحـثالة، والغفاء والغثاء، وثم وفم.

وقال الأصمعي: المغاثير والمغافير شيء ينـضحه الثمام والرمث والعشر كالعسل والواحد: مغثور ومغفور، وحكي عن الكسائي: خرجنا نتغفر ونتمغثر وحكي في واحدها المغفر أيضًا والمغثر أيضًا.

وقال الفراء: بنو أسد يـقولون: المغثور والجمع المغاثير وغـيرهم بالفاء. ونقل أبو الطيب أنه يقـال: ولد في الدفئي، وطيء تقـول: في الدثئي إذا ولد في آخر الشـتاء وقبل الصـيف... ويقال: كـرفأ وتكرفأ السـحاب وهو مثل كـرثأ وتكرثأ والكرفئ سحاب متراكم واحدته كرفئة، وفي كرثاء منه، وتكرثًا السحاب تراكم والكرثيىء من السحاب ويظهر أن الثـاء لغة بنى أسد والفاء لغة سليم وطيء لمجيء كرفـئة في شعر الخنساء وعامر بن جوين الطائي كما في اللسان(٣) وهذه القبائل بدوية ولا ريب.

---

(١) الشواذ ٦.

(٢) اللسان -مادة لثم- ٣: ٣٤١ ط. دار لسان العرب- بيروت.

(٣) ينظر في جـميع ذلك: الإبدال-لأبي الطـيب ١: ١٨٦ وما بعـدها، والمصبـاح المنير ١: ١١٢، ولسـان العرب ٢: ٩٥٩، ١٠٠١، ٣: ٢٣٩. ط. دار العرب- بيروت.

(*) البيت نسبوه لمؤرج حكاه عن حسان- البحـر ١: ٢١٩، ولئام: جمع لئيم وهو الشحيح والدنيء النفس، والفومل: شجر له ثمر، وهو صلب يشبه عود الخشب، والحوقل: نوع من الطعام.

وهذا يرجح شيوع هذه الظاهرة بين أبنائها. كذلك نقل القدماء من علماء اللغة العربية والنحو أنه. . . إذا كانت فاء «افتعل» واوًا أو ياء أصلية فإن الفاء تقلب تاء وتدغم في تاء «افتعل» التي بعدها وذلك نحو: اتزن واتسر، وأصله أوتزن وايتسر فتقلب الواو والياء تاء وتدغم في تاء «افتعل»، والسبب في هذا القلب أنهم لو لم يقلبوهما تاء لتلاعبت بهما حركات ما قبلهما فكانت تكون كسرة بعد كسرة، وبعد الفتحة ألفًا، وبعد الضمة واوًا فلما رأوا مصيرهما إلى تغيرهما لتغير أحوال ما قبلهما أبدلوا منهما حرفًا يلزم وجها واحدًا وهو الثاء، وهو حرف جلد تتغير أحوال ما قبله وهو باق بحاله وكانت التاء قريبة المخرج من الواو والياء لأنها من أصول الثنايا والواو من الشفة، والياء من وسط اللسان بعد ارتطامه بمقدم الحنك مع الأسنان[1] فأبدلوهما تاء وأدغموهما في لفظ ما بعدهما وهو التاء فقالوا: اتعد[2] واتزن واتسر، وقالوا: اتصل واتصال ومتصل واتسار ومتسر، وهذه هي اللغة الفصحى[3] والأكثر الأقيس وهي لغة الحجاز وبها ورد القرآن[4].

ومن العرب طائفة أخرى لا تبدلها تاء بل تنتهج طريقًا آخر خاصًا بها فتجري عليهما من القلب ما حاد عنه الأولون فيقولون: ايتعد، وايتزن في أوتعد واوتزن فقلبت الواو بعد سكونها وكسر ما قبلها ياء وبقيت الياء على حالها في ايتبس لاسيما وهي ساكنة مكسور ما قبلها والياء يناسب الكسر، ويوتعد وياتعد، ويوتزن وياتزن، وياتبس، حيث تبقى على حالها أو تقلب ألفًا إذا سكنت الواو والياء وانفتح ما قبلهما.

ويقال: موتعد -كما يقال- موتبس حيث الياء واوًا بعد سكونها وضم ما قبلها وعلى هذا سار أصحاب هذه اللغة فيبدلونها ألفًا أو واوًا أو ياء من جنس حركة ما قبلها، سمع الكسائي: الطريق ياتسق وياتسع أي: يتسق ويتسع ونسبت هذه اللغة لبعض الحجازيين[5].

والقدماء من محققي اللغة على أن الأولى هي الفصحى والأكثر في القياس وهي لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن.

---

(١) الوجيز في فقه اللغة ١٦٣.
(٢) سر الصناعة ١: ١٦٤ وما بعدها.
(٣) شرح التصريح ٢: ٣٩١.
(٤) سر الصناعة ١: ١٦٥.
(٥) شرح التصريح ٢: ٣٤٣.

قال الأعشي ميمون بن قيس يهدد علقمة بن علاثة:

فَـإنّ تَتَّـعِـدْنِي أَتُعِـدْكَ بِمِـثْلِهَـا وَسَوْفَ أَزِيْدُ البَاقِيَاتِ القَوَارِصَا(*)

وأصل تتعدني واتعدك: توتعـدني وأوتعدك من الوعد أبدلت الواو تاء وأدغمت في التاء.

وقال طرفة بن العبد البكري:

فَـإنَّ القَـوَافِي يَتَّـلِجْنَ مَـوَالِجَـا تَضَايَـقَ عَنْهَا أَنْ توالجـها الإِبَر(**)

وأصل يتلجن: يوتلجن أبدلت الواو تاء وأدغمت في التاء.

وقد جهـد بعض الباحثين المحدثين في الرد على ابن جني -رحـمه الله- عزوه هذه اللغة إلى الحجازيين، وأتى من الأدلة ما أكـد به قناعته بأن مثل هذا الأسلوب في الكلام هو المعهود عن بني تميم وقبائل نجـد الشرقيين حيث قال: ولا أوافق ابن جني في أنها لغة الحجازيين، كما أن قـول صاحب التصريح والأشموني بأنها هي اللغة الفصحى لا يعني بأنهـا لغة الحجاز لأن اللغة الفصحى شيء ولهـجة الحجاز شيء آخر، ويظهـر أن القدامى من علمـاء اللغة كـانوا يسمون لغـة الحجـاز بأنها الفـصحى، ولا أرى أنهـا لشعـراء ليـسوا من شـعراء الحـجاز... ثم أورد قـول الأعشى وطرفة -في البـيتين السابقين- واقتبس قولا للأحنف بن قـيس حيث قيل له: أي المجالس أطيب؟ فقال: ما سافر فيه البصر واتدع البدن.

(*) قال العيني في شرح شواهده المطبوع على هامش الخزانة ٤: ٥٨٠. أقول: قائله: هو الأعشى ميمون بن قيس يهجو علقمة بن علاثة وبعده:

أتوعـدني أن جـاش بحـر ابـن عـمكم وبحـرك سـاج لا يواري الدعـامـصـا

والقوارص: جـمع قارصـة وهي الكلمة المؤذية. وجـاش: علا. وسـاج: ساكن. ولا يواري: يسـتر. والدعموص: دويبة.

والشاهد فـي قوله: تتعـدني، أتعدك... فـإن أصلهمـا تتوعدني أوتـعدك لأنه من الفعـل الواوي الفاء فأبدلت الواو فيهما تاء وأدغمت التاء في أختها.

(**) قال العيني: قائله: هو طرفة بن العـبد.. هامش الخزانة- الديوان: ١٦١. والقوافي في الأصل: جمع قافية وهي اللفظ الأخيـر من البيت الذي يكمل البيت ولكن أراد بها القصيدة لاشتمال الـقافية عليها. ويتلجن: يدخلن. والموالج: جمع مولج. والإبر: جمع إبرة وهي التي تستعمل للخياطة.

والشاهد: يتلجن: فإن أصله يوتلجن لأنه من ولج فأبدلت الواو تاء وأدغمت في التاء.

ثم قال: وهذه الأدلة الحاسمة تقطع بأن تلك اللهجة لم تكن لهجة الحجاز بل لهجة شرق الحجاز العربية التى تجنح للإدغام وتأثر الأصوات بدليل تحقيق نسب الأحنف التميمي والشاعرين البكريين وهؤلاء جميعًا كانوا يسكنون شرق الجزيرة العربية، ويظهر أن لهجة الحجاز كانت لا تبدل الواو والياء تاء بل كان لهم مذهب آخر إذ كانو يبدلونها من جنس حركة ما قبلها، ثم استشهد بأقوال وردت في أسلوب الشافعي في رسالته، كقوله: في باب العلل في الأحاديث: وأخرى موتفقة، وأخرى مختلفة ناسخة ومنسوخة.

وقوله في باب البيان الثالث: وتختلف سننه وتاتفق.

وقوله في باب الحجة في تثبيت خبر الواحد، ولا نستطيع ثبوتها بالموتصل.

وقوله فى باب القياس: ايتفق المقايسون في أكثره.

وتوصل في النهاية بعد أن اطمأن إلى صحة ورود هذه الأساليب عن الشافعي، وأنه أملاها على تلميذه الربيع مباشرة أنها لهجة الحجاز بناء على قرشية الشافعي، فالشافعي إذن عندما يملي أو يتحدث فإنما يلفظ بلغته لغة أهل الحجاز[1].

وأرى أن كل ذلك لا طائل من ورائه، وأن ما توصل إليه من استنتاجات ليس بشيء كما أن في كلامه ما ينقض زعمه، إذ صحيح أن اللغة الفصحى غير لهجة الحجاز، وفي الحجازية عبارات وأساليب لا توجد في لغة القرآن، وجدير بالذكر أن الفصحى إنما اكتسبت هذه التسمية «بلغة الحجاز أو القرشية» بناء على أنها قد غلبت عليها خصائص لهجة قريش، ولم تكن القبائل الحجازية لتختلف لهجاتها عن لهجة قريش العامة إلا نادرًا، وقد مضى أن هذه الفصحى -الحجازية أو القرشية أحيانًا في تعبير القدماء- هي مزيج من مختلف اللهجات العربية وأهمها الحجازية والتميمية.

وابن جني وإن نص على أن تلك لغة الحجاز وهي الأكثر قياسًا وبها نزل القرآن فإنما يقصد ما قصده القدماء من إطلاقها على الفصحى بناء على ما سبق، ولهذا وجدت عند الحجازيين كما وجدت عند التميميين، وعامة أهل نجد، وشاعت في

(١) اللهجات العربية في التراث ٢٣٤ وما بعدها.

أساليبهم ومختلف استعمالاتهم الشعرية والنثرية، وهذا ما يوضحه بيتا الأعشى وطرفة، وقول الأحنف بن قيس -فيما أورده.

والاستشهاد بأساليب الشافعي ليس دليلاً مقنعًا على أن تلك لهجة الحجاز خاصة، فالشافعي حفظ كثيرًا من كلام العرب، وكان حجة فيما يقوله، ولم يثبت عنه أنه لم يتكلم غير لهجة قومه القرشيين.

على أننا يمكننا الزعم بأن ذلك ربما كان لهجة معظم الحجازيين كما هي لغة باقي العرب وعليها انعقد الإجماع بين عامتهم وأخذوا بها.

أما اللغة الأخرى التي نقلها الكسائي وتحدث بها الشافعي والتزمها في رسالته وثبت أنها لهجة الحجاز نرجِّح أنها إنما كانت غير الفصحى التي التزم بها عامة أهل الحجاز مع سائر قبائل العرب لاسيما وإن في أقوال القدماء ما يؤكد ذلك فقد نقل أن ذلك لغة بعض الحجازيين لكنها ليست لغة لعامتهم.

وهذا يوافق قول ابن جني ولا ينافيه.

****